ظاهرة التقارض في النحو العربي

للدكتور أحمد محمد عبد الله

ظاهرة التقارض في اللغة العربية مظهر من مظاهر اتساعها ، ولون من ألوان شمولها لان التوسع شائع في كلام العرب (١) ، فاذا كان الترادف والاشتقاق والتضاد والاشتراك والتضمين والمشاكلة .. الخ تمثل أنواع الاحاطة والتنوع في الاسلوب العربي ، فان التقارض يعد واحدا من هؤلاء ، اذ به يستطيع المتكلم أن يقلب الكلام على وجوه عدة ، وعلى كل حال هو مصيب فيما يذهب اليه ، بشرط أن يكون معه سند من السماع ، ووجه من وجوه التوجيه الصحيحة ، وهذا يؤكد أن لغتنا العربية مرنة وطيعة وليست جامدة تقف عند لون معين من ألوان التعبير .

فالتقارض يمثل نوعا من أنواع الطرافة والملحة في التعبير ، وقد تحدث ابن هشام عنه بايجاز شديد ، والمح عنه باشارة عجلى في الصفحات الاخيرة من كتابه الذى طبقت شهرته الآفاق « مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب » (٢) .

فما التقارض عند علماء اللغة ؟

تفيد مادة « قرض » عندهم معانى كثيرة ، أشهرها : الاعطاء والاخـــذ .

---

(١) رسائل ابن كمال باشا : ٥٣ ط أولى ، الرياض .

(٢) راجع مغنى اللبيب : ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ط بيروت .

قال الفيروز أبادى : « والقرض » ويكسر ما سلفت من سماحة واحسان وما تعطيه لتقضاه ، وأقرضه : أعطاه قرضا ، واقترض منه : أخذ القرض ، وهما يتقارضان الخير والشر (١) (أى يتبادلان) .

وقال الزمخشرى : واستقرضته فأقرضني ، وأقرضت منه كما تقول : استلفت منه ، وعليه قرض وقروض ، وقارضته مقارضة وقراضا : أعطيته المال مضاربة ، وفلان يقارض الناس مقارضة : يلاحبهم ويواقعهم ... وهم يتقارضون الثناء والزيارة (٢) .

وقال الجوهري : القرض .. ما تعطيه من المال لتقضاه ، واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضنى ، واقترضت منه أى أخذت منه القرض ، وهما يتقارضان الخير والشر (٣) .

وقال الفيومى : والقرض .. ما تعطيه غيرك من المال لتقضاه ، والجمع قروض مثل فلس وفلوس ، وهو اسم من أقرضته المال اقراضا .. وتقارضا الثناء أثنى كل واحد على صاحبه ، وقارضه من المال قراضا من باب قاتل وهو المضاربة (٤) .

وقال ابن منظور : وقد أقرضه وقارضه مقارضة وقراضا ، واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضنى ، وأقرضت منه ، أى أخذت القرض والعرب تقول لكل من فعل اليه خيرا : قد أحسنت قرضي ، وقد أقرضتنى قرضا حسنا ، ويقال للرجلين : هما يتقارضان الثناء في الخير والشر أى يتجازيان قال الشاعر :

يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا بزيل مواطىء الاقدام

---

(١) القاموس المحيط : « قرضه » ط دار الفكر ، بيروت .
(٢) أساس البلاغة : (قرض) ط دار المعرفة ، بيروت .
(٣) الصحاح : قرض . ط دار الحضارة العربية ـ بيروت .
(٤) المصباح المنير : قرضت . ط دار المعارف ـ القاهرة .

ونقل ابن منظور عن أبى زيد الانصارى أنه قال :

وهما يتقارظان المدح اذا مدح كل منهما صاحبه ، ومثله يتقارضان ، بالضاد . وهما يتقارضان الخير والشر قال الشاعر :

ان الغنى أخو الغنى وانما يتقارضان ولا أخا للمقتر (٢)

هذا هو التقارض بمعناه العام كما ذكرته كتب اللغة .

أما التقارض الاصطلاحى الذى نعنيه في مجال الدراسات النحوية فهو .

أن تغطى كلمة حكما يختص بها الى كلمة أخرى لتعامل معاملتها ، كما تعطى الكلمة الاخرى حكما يختص بها الى الكلمة الاولى لتعامل معاملتها أيضا ، وبعبارة أخرى :

الاقتراض النحوى هو تبادل الاحكام بين كلمتين بحيث تعطى كل كلمة الحكم الذى يختص بها الى الكلمة الاخرى ، سواء كانت هذه الكلمة اسما أم فعلا أم حرفا .

وقد فسر ابن يعيش المتوفي سنة (٦٤٣ هـ) التقارض بقوله :

معنى التقارض أن كل واحد منهما (أى الكلمتين) يستعير من الاخر حكما هو أخص به ... فأصل غير « أن يكون وصفا » والاستثناء فيه عارض معار من الا ... الخ (٢) .

وقبل ابن يعيش قال الزمخشرى المتوفي سنة (٥٣٨ هـ) عند الكلام على الا وغير :

« واعلم أن الا وغيرا يتقارضان ما لكل واحد منهما » (٣) .

---

(١) لسان العرب : قرض . ط الهيئة العامة للكتاب - مصر .
(٢) شرح المفصل ٢ : ٨٨
(٣) المفصل ٢ : ٨٨ ط ثانية بيروت والاشباه والنظائر للسيوطى ١ . ١٣٨ ط أولى القاهرة .

وعلى هذا التحديد الاصطلاحى سوف نعرض الامثلة المتنوعة للتقارض بين الالفاظ المختلفة ، وهو ينقسم الى ثلاثة أنواع كما يلى :

الاول : التقارض بين اللفظين في الاحكام الاعرابية ٠

والثانى : التقارض بين اللفظين في الشكل والهيئة ٠

والثالث : التقارض بين اللفظين في المعانى ٠

فالنوع الاول يتضح بما يلى :

غـير ـ الا

(أ) غير اسم شـــديد الابهام ليس بمتمكن (١) ، ملازم للاضافة ولا يتعرف بها لشدة ابهامه ، فان أضيفت « غـير » الى اللفظ فان استعمالها يكون على وجهين :

الاول : وهو الاصل في استعمالها أن تكون صفة للنكرة نحـو قوله تعالى « تعمل صالحا غير الذى كنا نعمل » (فاطـر : ٣٧) فغير صفة لـ « صالحا » ٠

الثانى : أن تقترض من « الا » حكمها فتفيد «غير» الاستثناء كما تفيده الا وبناء على ذلك تعرب « غير » اعراب الاسم التالى الا في ذلك الكلام فتقول : جاء القوم غير زيد ٠٠ بنصب غير ، وما جاءنى أحد غير زيد ٠٠ بالنصب والرفع لغير ، والمثالان المتقدمان يوضحان ان غيرا عوملت معاملة « الا » في الاستثناء ، وأعـربت اعراب الاسم التالى لا ، يؤيد ذلك بعض القـراءات المشهورة :

قال الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » (النساء : ٩٥) ٠

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣ : ٤٧٩ هارون

فقد قرىء برفع « غير » اما على أنه صفة للقاعدون ، لانهم جنس ، واما على أنه استثناء وأبدل على حد قوله تعالى «مافعلوه الا قليل منهم » (النساء : ٦٦) ويؤيده قراءة النصب أيضا ... وانتصاب « غير » في الاستثناء عن تمام الكلام عند المغـــاربة كانتصاب الاسم بعد « الا » عندهم واختاره ابن عصفور (١) :

وأما « الا » فهى تأتى في الاساليب على أربعة أوجه :

أحدها : وهو الاصل في استعمالها .. أن تكون للاســـتثناء نحو قوله تعالى : « فشربوا منه الا قليلا منهم » (البقرة : ٢٤٩) ونحو قوله تعالى : « ما فعلوه الا قليل منهم » (النساء : ٦٦) فقد انتصب ما بعـــد الا في الآية الاولى ، لان الاستثناء تام موجب ، وارتفع ما بعد « الا » في الاية الثانية ، لان الاستثناء تام منفى .

الثانى : أن تكون « الا » عاطفة بمنزلة الواو ، ذهب الى هذا الاخفش والفراء وأبو عبيدة وجعلوا من ذلك الاية الكريمة « لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم » (البقرة : ١٥٠) التقدير على رأيهم : ولا الذين ظلموا منهم وليس قولهم هـــذا بمسلم .

الثالث : أن تكون « الا » زائدة قال بذلك الاصمعى وابن جنى وابن مالك ، وجعلوا من ذلك قول ذى الرمة :

حـــراجيج ما تنفك الا مناخة
على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا (٢)

فالا زائدة في البيت على رأيهم .

الرابع : أن تكون « الا » بمعنى « غير » ـ وهذا الوجه محل

---

(١) راجع مغنى اللبيب ٢٠٩ ، ٢١٠ والبحر المحيط ٣ : ٣٠٣ ، والعراب النحاس ١ : ٤٤٧

(٢) الديوان ١٧٣ .

الشاهد ـ أى يوصف بها كما يوصف بغير ؛ فقد وصف بالا جمع منكر كما في قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الانبياء : ٢٢) .

فلا يجوز في « الا » هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، اذ التقدير يكون حينئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لم تفسدا ، وليس ذلك المراد ولا من جهة اللفظ ، لان آلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء فيه ، فلو قلت : « قام رجال الا زيدا » لم يصح اتفاقا ، ومثال وقوع الا وصفا قول ذى الرمة :

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الاصوات الا بغامها (١)

فالا بغامها صفة الاصوات .

وقول لبيد (٢) :

لو كان غيرى سليمى الدهر غيرة وقع الحوادث الا الصارم الذكر

فالا الصارم صفة لغيرى .

وقد شرط ابن الحاجب في وقوع « الا » صفة تعذر الاستثناء بها ، لذا جعل من الشاذ قول الشاعر :

وكل أخ يفارقه أخوه لعمر أبيك الا الفرقدان

أى لجواز صحة الاستثناء بالا .

قال أبو البقاء العكبرى مشيرا الى تقارض الا وغير :

« الاصل في الا » الاستثناء ؛ وقد استعملت وصفا ؛ والاصل

---

(١) نفسه ٦٣٨ .
(٢) الديوان : ٦٢

في « غير » أن تكون صفة وقد استعملت في الاستثناء (١) ٠٠

وما قاله أبو البقاء يقيد صحة التقارض بينهما في الاحكام لحمل احداهما على الاخرى فغير حين ضمنت معنى الا حملت عليها في الاستثناء كما ان « الا » قد تحمل على « غير » فيوصف بها لما بينهما من مشابهة ولذا فهم يقولون :

« ان الاصل في « غير » أن تكون صفة مفيدة ، لمغايرةمجرورها لموصوفها ذاتا أو صفة والاصل في « الا » مغايرة ما بعدها لما قبلها نفيا أو اثباتا فلما اجتمع ما بعد الا وما بعد « غير » في معنى المغايرة حملت الا على غير في الصفة فصار ما بعد الا مغايرا لما المغايرة حملت « الا » على غير في الصفة فصار ما بعد الا مغايرا لما قبلها نفيا أو اثباتا ، وحملت « غير » على الا في الاستثناء فصار ما بعدها مغايرا لما قبلها ٠٠٠ الا أن حمل « غير » على الا أكثر من حمل الا على غير (٢) ٠

ومن هنا نفهم سر التقارض بين غير والا في الاحكام المنوطة بكل منهما ٠

أن ـ ما

(أ) « أن » تأتى في الاساليب على عدة أوجه : أشهرها : أن تكون حرفا مصدريا ناصبا للفعل المضارع نحو قوله تعالى : « وأن تصوموا خير لكم » (البقرة : ١٨٤) وقوله تعالى : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم » (الحديد : ١٦) وليس دخولها قاصرا على الفعل المضارع فقط ، بل تدخل على الفعل الماضي

---

(١) الاشباه والنظائر للسيوطى ١ : ٧٥ ، ١٧٩ وراجع كتاب سيبويه ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٠ هارون ٠

(٢) راجع حاشية الصبان على الاشمونى ٢ : ١٥٥ ط الحلبى القاهرة ٠

أيضا نحو قوله تعالى : « ولولا أن ثبتنـــاك » (القصص : ٨٢) وقوله تعالى : « ولولا أن من الله علينا » (الاسراء : ٧٤) وتدخل أيضا على فعل الامر كحكاية سيبويه : كتبت اليه بأن قم ..

واذا كان المشهور في « أن » نصبها للفعل المضارع ، فقد ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيده واللحيـــانى أن بعضهم يجزم بهـــا وأنشدوا على ذلك قول امرىء القيس :

اذا ما غـــدونا قال ولدان أهلنا
تعالوا الى أن يأتنا الصيد نحب(١)

وقول جميـل بثينة :

أحاذر أن تعلم بهـــا فتـردها
فتتركها ثقلا على كما هيا (٢)

فيأتنا في البيت الاول مجزوم بأن ، وكذلك تعـــلم في البيت الثـــانى .

وقد تهمل « أن » في الكلام ، فلا تنصب ولا تجـــزم ، ويكون الفعل بعدها مرفوعا ، فهى بهذا تقترض هذا الحكم من « ما » ، ومثال أن المهملة قراءة ابن محيصن :

« لمن أراد أن يتم الرضاعة » (البقرة لا ٢٣٣) برفع الفعل المضارع (٣) « يتم » وقد اعترض على الاستدلال بالاية . ان أصله يتمون فهو منصوب بحذف النون وحـــذفت الواو للســـاكنين ، واستصحاب ذلك خطأ ، والجمع باعتبار معنى من تكلف .

ومثال « أن » المهملة أيضا قول الشاعر :

أن تقـرآن على أسماء ويحكما منى السلام وأن لا تشعرا أحدا

---

(١) الديوان : ١٥٣
(٢) الديوان : ٢٣٤
(٣) راجع البحر المحيط ٢ : ٢١٣ والمغنى : ٤٦

فتقرآن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون على الرغم من تقدم « ان » عليه لانها هنا مهملة ٠

وقد اعترض الكوفيون على الاستدلال بهذا البيت ، فزعموا أن « ان » في البيت مخففة من الثقيلة شذ اتصالها بالفعل ٠

غير أن الصواب أنها « أن » الناصبة ، أهملت ، حملا لها على « ما » أختها في المصدرية لان « ان » المخففة من الثقيلة غالبا ما تقع بعد علم أو ظن ، وهى في البيت لم تقع بعدهما فلا محل لاعتراضهم (١) ٠

(ب) أما « ما » فتأتى في الاساليب مهملة ، أى لا تجزم ولا تنصب ، هذا هو المشهور فيها حين تدخل على الفعل المضارع ، غير أنها في بعض الاحيان قد تقترض من « أن » حكم النصب للفعل المضارع ، فقد رأى بعضهم أن « ما » يجوز أن تنصب الفعل المضارع حملا لها على أن الناصبة كما روى من قوله عليه الصلاة والسلام : « كما تكونوا يولى عليكم » (٢) على أحد الروايات ٠ ذكر ذلك ابن الحاجب : « فتكونوا » فعل مضارع منصوب بحذف النون « بما » المتقدمة عليه ، والمعروف في الرواية المشهورة : كما « تكونون » وعلى هذا فلا شاهد فيه ، وقد قال بعضهم معترضا على رواية النصب : ولا حاجة الى جعل « ما » هنا ناصبة فان في ذلك اثبات حكم لم يثبت في غير هذا المحل ، بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة ٠

---

(١) راجع مغنى اللبيب ٤١ والانصاف في مسائل الخلاف لابن الانبارى ٥٦٣٠٢ ط رابطة القاهرة وشرح الاشمونى ٣ : ٢٨٧

(٢) قالوا انه حديث ضعيف ، وهو في مغنى اللبيب : ٩١٥ وكشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس للعجلونى ٢ : ١٢٦ وراجع المقاصد الحسنة للسخارى ٣٢٦ ٠

وعلى كلّ حال فان تقارضهما ثابت لان كلا منهما يجوز أن تحمل على الاخرى لذا قال ابن مالك :

وبعضهم أهمل « أن » حملا على ما أختها حيث استحقت عملا

أى يصح في « أن » الناصبة أن تهمل حملا لها على « ما » كما يجوز في « ما » أن تعمل النصب حملا لها على « أن » لما بينهما من مشابهة من حيث أن كلا منهما حرف مصدري وكلا منهما حرف ثنائي ...

ان ـ لو

(أ) « ان » بكسر الهمزة وتسكين النون المخففة ، تأتى في الاساليب على وجوه عدة منها :

الاول : أن تكون نافية وتدخل حينئذ على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى : « ان الكافرون الا في غرور » (الملك : ٢٠) وقوله تعالى : « ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم » (المجادلة : ٢) .

الثانى : أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية نحو قوله تعالى : « وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا » (الزخرف : ٣٥) وقوله تعالى : « وان كل لما جميع لدينا محضرون » (يس : ٣٢) وقوله تعالى : « وان كانت لكبيرة » (البقرة : ١٤٣) .

الثالث : أن تكون شرطية فتجزم فعلين : الاول يسمى فعل الشرط ، والثانى جواب الشرط نحو قوله تعالى : « وان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » (الانفال : ٣٩) . وقوله تعالى : « وان تعودوا نعد » (الانفال : ١٩) .

وبعد هذا الوجه أشهر استعمالاتها غير أنها قد تأتى في الاسلوب مفيدة معنى الشرط وهى غير جازمة مقترضة هذا الحكم

من « لو » التى تفيد معنى الشرط وهى غير جازمة ، ومثال « ان » غير الجازمة ما روى في الحديث :

« فالا تراه فانه يراك » (١) .

(ب) أما « او » فهي تأتي في الاسلوب حرف شرط في المستقبل الا أنها لا تجزم ، هذا هو المشهور في استعمالها نحو قوله تعالى « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله » (النساء : ٩) .

ونحو قول الشاعر :

لا يلفك الراجيك الا مظهرا خلق الكرام ولو تكون عديما

وقالوا في تعليل عدم جزمها للفعل الذى تدخل عليه :

ان ذلك بسبب غلبة دخولها على الفعل الماضي ولو أريد بها معنى ان الشرطية . غير أن بعض العلماء ذكر أن «لو» قد تقترض من « ان » الشرطية حكم الجزم فتجزم الفعل المضارع ، وقد أجاز ذلك جماعة في الشعر دون غيره منهم ابن الشجرى نحو قول الشاعر :

لو يشأ طار به ذو ميعة لاحق الأطلال نهد ذو خصل (٢)

وقول الشاعر :

ثابت فؤادك لو يحزنك ما صنعت
لحدى النساء بنى ذهل بن شيبانا (٣)

فيشأ في البيت الاول ، ويحزنك في البيت الثانى مجزومان بلو

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الايمان .
(٢) قيل انه لامرأة حارثية وهو في خزانة الادب ٤ : ٥٢١
(٣) قاله لقيط بن زراره ، المغنى ٣٥٧ ، وخرج بعضهم البيت على أن ضمة الاعراب سكنت تخفيفا ، الاشمونى ٤ : ٤٣ .

على سبيل اقتراض حكم الجزم من أن الشرطية لما بينهما من أوجه المشابهة ٠

وربما خرج بعضهم البيت الاول على أنه جاء على لغة من يقول : شا - يشأ بالالف ثم أبدلت الالف همزة على حد قول بعضهم : العالم والخأتم - بالهمزة ، ويؤيد هذا التخريج أنه لايجوز مجيء أن الشرطية في هذا الموضع ، لانه اخبار عما مضي ، فالمعنى لو شاء ، وهذا التخريج يقدح أيضا في الاستدلال بالحديث السابق ذكره ٠

وعلى الرغم من ذلك فانه يصح تقارضهما أى ان ولو « لان » ان قد تحمل على لو فتهمل ولا تجزم كقراءة ابن طلحة «فأماترين» (مريم : ٢٦) ٠ بياء المخاطبة الساكنة ودون الرفع المفتوحة ، وحملت كلامها على الاخرى لانهما يفيدان الشرط ، ويتفقان في ثنائية اللفظ لذا قال ابن مالك :

وجوز الجزم بها في الشعر ذو حجة ضعفها من يدرى (١)

وقول ابن مالك يحمل معنى التردد لذا وقع له كلامان في هذه المسألة :

أحدهما : يقتضي المنع مطلقا في النثر والشعر ، والثانى ظاهره موافقة ابن الشجرى فيما يذهب اليه (٢) ٠

اذا - متى

(أ) من وجوه استعمال « اذا » في الاساليب ما يلى :

أولا : أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج الى جواب ، ولا تقع في الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال نحو

---

(١) راجع المغنى ٩١٥ ، ٩١٦ والاشمونى وحاشية الصبان ٤ : ١٣ ، ١٤ ، ٤٣ ٠

قوله تعالى : « فألقاها فاذا هى حية تسعى » (طه : ٢٠) وقوله تعالى : « اذا لهم مكر في آياتنا » (يونس ٢١) ٠

ثانيا : أن تكون لغير المفاجأة ، أى تكون ظرفا المستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية ، وقد اجتمعت « اذا » الفجائية و « اذا » الشرطية في قوله تعالى ٠ « ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون » (الروم : ٢٥) فاذا الاولى ظرفية واذا الثانية فجائية ٠

ويكون الفعل بعد اذا الظرفية ماضيا كثيرا ومضارعا دون ذلك وقد اجتمعا في قول أبى ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

والوجه الثانى أشهر وأكثر ورودا في الاسانيب ،غير أنها في بعض الاحيان قد تجزم الفعل الذى يأتى بعدها ، وذلك حملا لها على « متى » الجازمة أى تقترض منها حكم الجزم كقول عبد القيس :

استغن ما أغناك ربك بالغنى واذا تصبك خصاصة فتحمل

فاذا في البيت جازمة للفعل « تصبك » ٠

وقد خص بعضهم الجزم بها في الشعر دون النثر ، قال ابن مالك في الكافية :

وشاع جزم باذا حملا على متى وذا في النثر لم يستعملا

وقال في شرحها : وشاع في الشعر الجزم باذا حملا على متى وأنشد ٠٠

ترفع لى خندف والله يرفع لى نارا اذا خمدت نيرانهم لم تقد

لكنه جوز في التسهيل الجزم بها في النثر على قله ، وجعل منه قوله عليه الصلاة والسلام لعلى وفاطمة رضي الله عنهما « اذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين » ، الحديث ٠

ومن هنا نتبين أنه يجوز أن تأتي اذا جازمة في الشعر والنثر، وكلاهما قليل ٠

(ب) أما « متى » فهي اسم شرط يجزم فعلين : الاول فعل الشرط ، والثاني جوابه هذا هو المشهور في استعمالها كقول سحيم ابن وثيل :

أنا ابن جـــلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

فالفعل : أضع وتعرفوني مجزومان بمتى ٠

وقد تجيء « متى » في الاسلوب ، اسم شرط وهي مهملة أي غير جازمة مقترضة هذا الحكم من اذا التي تتضمن معنى الشرط ولا تجزم ، فهي في هذه الحالة يحكم لها بحكم اذا كقول عائشة رضي الله عنها : « وانه متى يقول مقامك لا يسمع الناس » (١) فالفعل يقوم غير مجزوم بمتى وكذلك لا يسمع ٠

وهكذا صح تقارضهما لان كلا منهما قد تحمل على الاخرى ، ولا التفات لما ذهب اليه أبو حيـــان الذي منع ان تهمل « متى » حملا لها على « اذا » (٢) ٠

لم - لن

(أ) « لم » حرف يجزم الفعل المضارع وينفيه ويقلب زمنه الى الماضي ، هذا هو الاصل في استعماله نحو قوله تعالى : « لم يلد ولم يولد » الاخلاص : ٣ ٠

غير أن هذا الحرف قد يترك عمل الجزم للفعل المضارع الى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة ٠
(٢) راجع مغني اللبيب ١٢٠ ، ٢٢١ ، ٢١٢ ، ٩١٦ وشـــرح الاشمونى ٤ : ١٣

عمل النصب فيه مقترضا هذا الحكم من « لن » لتشابههما في النفى ، فقد حكى اللحيانى عن بعض العرب أنه ينصب بلم ،وقد وجدنا ابن مالك يقول في شرح الكافية : زعم بعض النـــاس أن النصب بلم لغة اغترارا بقراءة بعض السلف « ألم نشـــرح لك صدرك » (١) بفتح الحاء أى نصب الفعل المضارع « نشرح » بلم، وكقول الحارث بن منذر :

في أى يومى من الموت أفر ... أيوم لم يقدر أم يوم قدر

بنصب الفعل « قدر » بعد لم ، فقد عملت « لم » النصب في الفعل بعـدها .

ولم يوافق على هذا بعض العلماء فقد ذهبوا الى أن النصب في الاية والبيت على أن الاصل : نشرحن ، ويقدرن ، ثم حـــذفت نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلا عليها ، وقد اعترض على هذا التوجيه بأن فيه شذوذين : توكيد المنفى بلم ، وحـذف النون لغير وقف ولا ساكنين (٢) .

وخرج بعضهم الفتح في الاية والبيت على أنها اتباع للفتحة قبلها أو بعدها .

(ب) « لن » حرف ينصب الفعل المضارع وينفيه ويمحضـه للاستقبال نحو قوله تعالى : « فلن أكلم اليوم انسيا » مريم : ٢٦، ولا تفيد توكيد النفى ولا تأبيده خلافا لمن زعم ذلك . وقد رد هذا الادعاء بأنها لو كانت للتأبيد للزم التناقض بذكر اليوم في « فلن أكلم اليوم أنسيا » والتكرار بذكر ابدا في قوله تعالى « ولن يتمنوه أبدا » (٣) وأما التأبيد في « لن يخلقوا ذبابا » الحج : ٧٣ . فلأمر خارجى لا من مقتضيات لن .

---

(١) الشرح : الاية الاولى .
(٢) راجع مغنى اللبيب ٣٦٥ وحاشية الصبان ٤ : ٨
(٣) البقـرة ٩٥

وتأتي « لن » للدعاء كما أتت « لا » وفاقا لجماعة منهم ابن عصفور بدليل قول الاعشي :

ان تزالوا كذلكم ثم لا زل ت لكم خالدا خلود الجبال (١)

وما تقدم هو الاصل في استعمالها ، وقد تخرج « لن » عن نصب المضارع الى جزمه مقترضة هذا الحكم من « لم » كقول كثير عزة :

أيادى سبايا عز ما كنت بعدكم فلن يحل للعينين بعدك منظر (١)

وقول اعرابى يمدح الحسين بن على :

لن يخب الان من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

فقد جزمت « لن » الفعل « يحل » في البيت الاول ، وجزمت الفعل « يخب » في البيت الثاني .

وعلى الرغم من أن بعضهم وجه الفعل في كل بيت على أنه محتمل للاجتزاء بالفتحة عن الالف للضرورة ، فالتقارض بينهما مؤيد بالسماع لوجود مشابهة بينهما وهو النفى في كل منهما واختصاصهما بالفعل المضارع دون غيره .

ما ـ ليس

(أ) من أوجه استعمال « ما » في الاساليب ، أن تكون حرفا نافيا داخلا على الجملة الاسمية وهى في هذه الحالة تعمل عمل « ليس » على رأى الحجازيين والتهاميين والنجديين وأهملها بنو تميم وهو القياس لعدم اختصاصها بالاسماء ، ولاعمالها عند الحجازيين شروط فصلتها كتب النحو ، فمثال « ما » العاملة عمل ليس نحو قوله تعالى « ما هذا بشرا » يوسف : (٣١) وقوله تعالى

---

(١) الديوان ١ : ٦٠

« ما هن أمهاتهم » المجادلة : ٢ وقد عملت « ما » عمل ليس لحملها عليها لمشابهتها اياها في المعنى وهو النفى ، وقد ذكروا أن المثبت لاعمالها عمل ليس هو الاستقراء .

أما اذا دخلت « ما » النافية على الجملة الفعلية فانها لاتعمل نحو قوله تعالى « وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله » البقرة : ٢٧٢ فما تقترض حكم ليس حين تدخل على الجملة الاسمية .

(ب) أما « ليس » فهى فعل جامد لا يتصرف ناسخ من أخوات كان ، ينفى الحال ويرفع المبتدأ وينصب الخبر نحو : ليس بكر عالما ، هذا هو الاصل في عملها .

وقد تخرج « ليس » عن هذا الاصل فلا تعمل أى تهمل حملا لها على « ما » وذلك حين ينتقض خبرها بالا بجامع المشابهة التى بينهما ، فكذلك اذا انتقض خبر ليس بالا فانها لا تعمل ، فقد اقترضت من « ما » هذا الحكم نحو قولهم «ليس الطيب الا المسك» برفع المسك .

فان بنى تميم يرفعونه حملا لها على « ما » في الاهمال عند انتقاض النفى كما حمل أهل الحجاز « ما » على ليس في الاعمال عند استيفاء شروطها ، حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء (١)

عسى - افعل

(أ) « عسى » فعل ماض يفيد معنى الترجى في المحبوب ، والاشفاق في المكروه ، وقد اجتمع المعنيان في قوله تعالى « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » (٢) .

---

(١) راجع مغنى اللبيب : ٣٨٧ - ٣٨٨ وحاشية الصبان ١ : ٢٧٤

(٢) البقرة الاية ٢١٦

فالاسم الذى بعدها يكون مرفوعا على أنه اسم لها ويأتى بعد ذلك الخبر المنصوب نحو قول هدبة بن خشرم :

عسي الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقول رؤبة :

أكثرت في اللوم ملحا دائما لا تكثرن انى عسيت صائما

وقولهم في المثل : عسي الغوير أبؤسا (٢) .

وقد تخرج « عسي » عن عمل الرفع والنصب على الترتيب الى عمل النصب والرفع . فيقال :

عساني وعساك وعسا . وقد قيل في تخريج ذلك (١):

ان عسي اقترضت عمل النصب والرفع على الترتيب من لعل .

(ب) « لعل » حرف يفيد معنى الترجى والطمع وقد يرد اشفاقا (٣) نحو قوله تعالى « فلعلك باخع نفسك على آثارهم» (٤) ومعلوم أنه ينصب الاسم ويرفع الخبر كان ، هذا هو الاصل في عمل هذا الحرف وقد ينصبهما على قلة ، حكى عن بعض العرب : لعل آباك منطلقا ، وخبر هذا الحرف الاصل فيه أن يجيء اسما صريحا كما تقدم في الاية الكريمة ، وقد يخرج خبره عن كونه اسما صريحا فيجيء فعلا مضارعامقترنا بأنمقترضة هذا الحكم من«عسي» (٥) نحو قول متمم بن نويرة :

لعلك يوما أن تلم ملمة عليك من اللائى يدعنك أجدعا

---

(١) مجمع الامثال ١ : ٤٧٧
(٢) راجع مغنى اللبيب ٢٠٢
(٣) شرح ابن الناظم ٦٢
(٤) الكهف الاية ٦
(٥) مغنى اللبيب ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٩١٧ - ٦٢٣

ومنه الحديث « فلعـــل بعضكم أن يكون ألحن بحجتـــه من بعض » (١) ٠

وهكذا رأينا في الامثلة المتقدمة أن « عسي » أجريت مجـرى « لعل » في نصب الاسم ورفع الخبر ، كما أجريت « لعل » مجـرى « عسي » في اقتران خبرها بأن ، قال صدر الافاضل : أجرى لعـــل حيث أدخل على خبرها « أن » المصدرية مجرى عسي ، كما تجرى عسي مجرى لعل ، وهذا على طريق المقارضة (١) ٠

عسي ـ كاد :

(أ) لقد عرفنا فيما تقدم أن الغالب في خبـــر « عسي » أن يقترن بأن المصدرية ، لانها من أفعال الترجي ، وقد أوجب جمهور البصريين اقتران خبرها بأن ، وقالوا : ان خبرها لا يجرد منهـــا الا للضرورة وحينئذ يخرج خبرها من مجيئه مقترنا بأن الى مجيئه مجردا منها مقترضا هذا الحكم من « كاد » التي يغلب على خبرها أن يكون مجردا من أن قال هدبة بن خشرم العذرى :

عسي الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قـــريب

فالفعل يكون هو الخبر لعسي وقد تجرد من أن ٠

(ب) أما « كاد » فخبرها يأتى مجردا من أن ، لان المنقول عن فصحاء العرب : ايقاع أن بعد عسي والغاؤها بعد كاد ، والعلة فيه : أن كاد وضعت لمقاربة الفعل ولهذا قالوا : كاد النعام يطير لوجود جزء من الطيران فيه وأن وضعت لتدل على تراخى الفعل ووقوعه في الزمان المستقبل ، فاذا وقعت بعد كاد نافت معناها الدال على اقتراب الفعل ، وحصل في الكلام ضرب من التناقض وليس كذلك « عسي » لانها وضعت للتوقيع الذى يدل على وضع « أن » على

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الاحكام ٠
(٢) راجع شروح سقط الزند ٤ : ١٨٥٢

مثله ، فوقوع « أن » بعدها يفيد تأكيد المعنى ويزيده تحقيقا وقد نطقت العرب بعدة أمثال جاء فيها خبر « كاد » مجردا من « أن » على الاصل فقالوا : كاد العروس يكون ملكا ، وكاد المنتقل يكون راكبا ، وكاد الحريص يكون عبدا وكاد البيان يكون سحرا ، وكاد النعام يكون طيرا ، وكاد البخيل يكون كلبا (١) ، ومن القرآن الكريم قوله تعالى : « كاد زيتها يضيء » (٢) .

وقد يخرج خبر « كاد » عن الاصل فيأتى مقترنا بأن مقتضيا هذا الحكم من « عسي » ومن أمثلة هذا النوع :

قوله صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » (٣) وقول عمر رضي الله عنه :

« ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب » (٤) .. وقول أنس رضي الله عنه « فما كدنا أن نصل الى منازلنا » (٥) وقول جبير بن مطعم رضي الله عنه :

« ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه » (٦) .

ومن النظم قول الشاعر :

أبيتم قبول السلم منا فكدتم
لدى الحرب أن تغنوا السيوف عن السل

وليس ذلك بضرورة لتمكنه من أن يقول لدى الحرب مغنون السيوف عن السل .

---

(١) راجع رسائل ابن كمال باشا ٢٤ ، ٢٥
(٢) النور الآية ٣٥
(٣) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الاولياء ٥٣٣ ، ١٠٩
(٤) صحيح البخارى ٥ : ١٤١ وصحيح مسلم ١ : ٤٣٨ والترمذى ١ : ٣٣٧ .
(٥) صحيح البخارى ٣ : ٣٦
(٦) سنن أبى داود ١ : ٢١٠

وهكذا فان خبر « كاد » قد يقترن بأن ، كما أن خبر « عسى » قد يأتى مجردا من أن ، وذلك على سبيل المقارضة بينهما (١) ٠

الفاعل ـ المفعول :

(أ) الاصـــل في الفاعل أن يأتى مرفوعا نحو قوله تعالى ٠٠ (وأضل فرعون قومه وما هدى) (٢) ، وقد يخرج عن هذا الاصل الى النصب مقترضا ها الحكم من المفعول به نحو قولهم : ـ

خرق الثوب المسمار ، وكسر الزجاج الحجر ، فالمسمار هـــو الفاعل وحقه أن يكون مرفوعا لكنه اقترض النصب من المفعول به فنصب وكذلك الحجر (٣) ٠

(ب) والاصل في المفعول به أن يكون منصوبا ، وقد يخرج عن هذا الاصل فيصير مرفوعا مقترضا هـــذا الحكم من الفاعل نحـــو الامثلة المتقدمة ، فالثوب والزجاج مفعولان ٠ حقهما النصب ولكنهما رفعا على ســـبيل المقارضـــة ، ومن أمثلة الاقتراض بينهما قول الاخطل يهجو جريرا : ـ

مثل القنافذ هداجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

فنجران وهجر مفعولان حقهما النصب لكنهما رفعا على سبيل التقارض ، وسوءاتهم في الاصـــل هى فاعل حقهـــا الرفع لكنهـــا نصبت على طريق التقارض أيضـــا وســـمع نصبهما أى الفاعل والمفعول نحو قول الشاعر : ـ

---

(١) راجع رسائل ابن كمال باشا : ٢٥ وشرح ابن الناظم : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ والاشموني ١ ؛ ٢٥٨ وما بعدها ٠
(٢) طه الآية ٧٩ ٠
(٣) جرأهم على ذلك أمن اللبس ووضوح المعنى ٠

قد سـالم الحيات منه القـدما
الافعوان والشـجاع الشـجعما

في رواية من نصب الحيات ٠

وسمع أيضا رفعهما أى الفاعل والمفعول (١) نحو قول الشاعر:

ان من صـاد عقعقا لمشـوم
كيف من صـاد عقعقان وبـوم

الصفة المشبهة ـ اسم الفاعل : ـ

(أ) الافضـل في معمول الصفة المشـبهة أن يكون مجرورا نحو ٠ محمد ضامر البطن ومنطلق اللسان وحسن الخلق ، لان الصفة المشـبهة تدل على الثبوت واللزوم ، ولهذا أصبحت مع معمولها كالكلمة الواحدة ، فالاحسن أن تضاف الى معمولها لكنها قد تخرج عن هذا الحكم فتنصب معمولها مقترضة هذا الحكم من اسـم الفاعل الذى يعد أقوى منها في العمل فيجوز أن نقول : زيد الحسن الوجه ، بنصب الوجه على سبيل الاقتراض منه ٠

(ب) والافضل في اسم الفاعل أن ينصب المفعول به وذلك حين يستوفي شروط عمله اذا كان مجردا لانه يدل على التجدد والحدوث ويناسبه أن يكون مفعوله منصوبا ولانه محمول على الفعل المضارع الا أن اسم الفاعل قد يجر مفعوله مقترضا هذا الحكم من الصـفة المشبهة التى تدل على الثبوت واللزوم ٠

ولذا قال ابن هشام (٢) : يجوز « اعطاء الحسن الوجه ، حكم الضارب الرجل في النصب واعطاء الضـارب الرجل حكم الحسـن الوجه في الجر » وذلك على سبيل التقارض ٠

---

(١) راجع مغنى اللبيب ٩١٧ ، ٩١٨ ٠
(٢) مغنى اللبيب ٩١٨ ٠

الفعل المضاع ـ اسم الفاعل

(أ) الاصل في الافعال البناء ، لذلك جاء الماضي والامر على وفق الاصل ، فبنى الماضي على الفتح وبنى الامر على السكون أما المضارع فقد خرج على الاصل حيث أعرب مفترضا هذا الحكم من اسم الفاعل لانه محمول عليه لشبهه به في الابهام والتخصيص ودخول لام الابتداء والجريان على حركاته ... الخ نحو : يكتب ويجلس .

(ب) والاصل في الاسماء عدم الاعمال نحو : زيد وحجر ورجل لكن اسم الفاعل من الاسماء يعمل بشروطه مقترضا هذا الحكم من الفعل المضارع لوجود مشابهة بينهما كما ذكرنا نحو : ضارب زيدا وكاتب درسا *

اسم التفضيل ـ أفعل في التعجب : ـ

(أ) الاصل في اسم التفضيل أن يرفع الاسم الظاهر لانه مشتق والمشتقات ترفع الظاهر والمضمر ، غير أن اسم التفضيل لا يرفع الظاهر لشبهه بأفعل التعجب وزنا وأصلا وافادة للمبالغة ، فقد اقترض « اسم التفضيل » من أفعل التعجب هذا الحكم وهو عدم رفع الاسم الظاهر .

(ب) والاصل في أفعل التعجب أن لا يصغر ، لان أفعل التعجب « فعل » والتصغير مختص بالاسماء ، ومبنى والتصغير لا يدخل الاسماء المبنية الا شذوذا غير أن أفعل التعجب قد يصغر مقترضا هذا الحكم من اسم التفضيل لانهما متشابهان وزنا وأصلا وافادة للمبالغة قال الشاعر :

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا
من هؤليائكن الضال والسمر

---

* راجع شرح ابن الناظم : ٨ وشرح الرضي ٢ : ١٩٩ وشرح اللمحة ٢ : ٢٥٨ .

قال الجوهرى : ولم يسمع ذلك الا في أحسن وأماح ، قال (١) ابن هشام : ـ

ولكن النحويين مع هذا قاسوه ، ولم يحك ابن مالك اقتياسه الا عن ابن كيسان وليس كذلك ، قال أبو بكر ابن الانبارى : ولا يقال الا لمن صغر سنه .

النوع الثانى : التقارض بين اللفظين في الشكل والهيئة :

الحال ـ التمييز :

(أ) يذهب جمهور النحاة الى أن الاصل في الحال أن ترد في الاستفهام مشتقة من المصدر لتدل على متصف نحو : جاء بكر ضاحكا ، وضربت اللص مكتوفا ، وقد تجيء جامدة مقترضة هذا الجمود من التمييز لما بينهما من أوجه الشبه ، ويكثر مجيئها جامدة في مواضع :

ان دلت على سعر نحو : بعه مدا بدرهم ، فمدا حال جامدة ، أى بعه مسعرا كل مد بدرهم وان دلت على تفاعل نحو : بعته يدا بيد أى متناجزة ، أو دلت على تشبيه نحو : كر زيد أسدا أى مشبها للاسد فيدا وأسدا جامدان وصحح وقوعهما حالا لظهور تأولهما بمشتق كما تقدم ، وتجيء الحال جامدة ان دلت على ترتيب كقولك :

ادخلوا الدار رجلا رجلا ، وقولك سار الجند رجلين رجلين ، تريد (مرتبين) وضابط هذا النوع : أن يذكر المجموع أولا ثم يفصل هذا المجموع بذكر بعضه مكررا وتجيء الحال جامدة ان وصفت نحو

---

(١) راجع اللبيب ٨٩٤ ـ ٩١٨ .

قوله تعالى « قرآنا عربيا » (١) وقوله تعالى « فتمثل لها بشرا سويا » (٢) وكذلك ان دلت على عدد نحو قوله تعالى « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » (٣) وكذلك اذا كانت الحال نوعا من صاحبها كقولك : هذا مالك ذهبا ، أو تكون الحال فرعا لصاحبها نحو : هذا حديدك خاتما ، وكقوله تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتا » (٤) .

(ب) والاصل في التمييز أن يكون جامدا نحو : حسن محمد علما ، وزرعت الارض شجرا وعندى قفيز برا ، وقد يترك التمييز هذا الاصل فيجيء مشتقا مقتضا هذا من الحال لما بينهما من مشابهة نحو : لله دره فارسا ، وحسبك به كافلا ، وكفى به عالما (٥)

قال الاشمونى : ان حق الحال الاشتقاق ، وحق التمييز الجمود ، وقد يتعاكسان ، فتأتى الحال جامدة كهذا مالك ذهبا ، ويأتى التمييز مشتقا نحو : لله (٦) دره فارسا أى يتعاكسان على سبيل الاقتراض فكل منهما يقترض هيئة الآخر لأوجه شبه بينهما .

الجمع ـ المثنى :

(أ) حق نون جمع المذكر السالم وما لحق به في اعرابه أن تكون مفتوحة نحو قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون » (٧) ونحو « وبشر الصابرين » (٨) ، وقد فتحت نون الجمع طلبا للخفة من ثقل الجمع ، وفرقا بينه وبين نون المثنى لكن نون جمع المذكر

---

(١) يوسف الآية ٣ .
(٢) مريم الآية ١٧ .
(٣) الاعراف الآية ١٤٢ .
(٤) الشعراء الآية ١٤٩ .
(٥) راجع ابن عقيل ١ : ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ .
(٦) راجع الاشمونى ٢ : ١٧٠ ـ ١٧١ .
(٧) المؤمنون الآية الاولى .
(٨) البقره الآية ١٥٣ .

السالم قد تكسر مقترضة هذا من نون المثنى كقول جرير بن عطية :

عرفنا جعفرا وبنى أبيه وأنكرنا زعانف آخرين

وقول سحيم بن وثيل الرياحى :

وماذا يبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حد الاربعين

بكسر نون « آخرين » في البيت الاول وكذلك كسر نون « الاربعين » في البيت الثانى .

(ب) وحق نون المثنى وما ألحق به في الاعراب أن تكون مكسورة على الاصل في التقاء الساكنين لكن نون المثنى قد تجىء مفتوحة مقترضة هذا من نون الجمع كقول حميد بن ثور الهلالى :-

على أحوذيين استقلت عشية فما هى الا لمحة وتغيب

وكقول رجل من ضبة :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

قال ابن مالك فيما تقدم :

ونون مجموع وما به التحق فافتح وقل من بكسره نطق (١)

ونون ماثنى والملحق به بعكس ذاك استعملوه فانتبه

النوع الثالث : التقارض بين اللفظين في المعانى :

يذكر النحاة أن كل حرف من حروف المعانى يفيد - بطريق الاصالة - معنى أو عدة معان ، تعد من لوازم هذا الحرف غالبا ، غير أنه في بعض الاحيان قد يفيد الحرف معنى من المعانى ليس أصلا في افاته .

وافادة الحرف معنى يختص به حرف آخر يعد

---

(١) راجع شرح الاشمونى ١ : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ وابن عقيل ١ : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

عند بعض العلماء من باب التقارض بينهما ، فكأن الحرف الآخر أقرضه هذا المعنى ، وربما عده بعضهم من باب نيابة الحرف مكان الحرف الآخر ، وهذه مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين فالبصريون يرون أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك ، وما أوهم ذلك فهو عندهم محتمل على ما يلى :

١ ـ اما مؤول تأويلا يقبله اللفظ ، كما قيل في قوله تعالى « ولاصلبنكم في جذوع النخل » (١) ان «في» ليست بمعنى على ، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء ٠

٢ ـ وأما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، كما ضمن بعضهم « شربن » في قول أبى ذؤيب الهذلى :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج (٢)

معنى « روين » ، وأحسن في قوله تعالى « وقد أحسن بى » (٣) معنى « لطف » ٠

٣ ـ واما على شذوذ انابة « كلمة عن أخرى » ٠

وقد ذهب الكوفيون الى جواز نيابة الحرف عن الحرف أى أن يقترض الحرف من الحرف الآخر معناه ٠

أما المالقى فقد وقف من الفريقين موقفا وسطا حيث قال :

ان نيابة الحرف مكان الآخر موقوفة على السماع ، لان الحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياسا الا اذا كان معناهما واحدا ومعنى الكلام الذى يدخلان عليه واحدا (٤) ٠

---

(١) طه الآية ٧٠ ٠

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٥١ ٠

(٣) يوسف الآية ١٠٠ ٠

(٤) رصف المبانى : ٢٢١ وراجع الخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه المسألة :

مغنى اللبيب ١٥٠ ـ ١٥١ والخصائص ٢ : ٣٠٦ والجنى الدانى في حروف المعانى : ٥ والازهية ٢٧٧ ـ ٣٠٠ والآمالى الشجرية ٢ : ٢٦٧ ٠

وغير خاف أن مذهب الكوفيين بعيد عن التكلف والتعسف ومن ثم فهو جدير بالاتباع لذا سوف نسوق أمثله متنوعه لبعض الحروف التى تفيد معانى أصيلة ومعانى أخرى غير أصيلة اقترضتها من الحروف الاخرى ٠

الى ـ اللام :

(أ) « الى » تدل من خلال الاسلوب على انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية ، ذلك أوضح معانيها نحو قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي » (١) وقوله تعالى « ثم أتموا الصيام الى الليل » (٢) ٠

وقد تخرج عن معناها الاصلى المتقدم فتأتى في بعض أحوالها بمعنى اللام نحو قوله تعالى « والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين » (٣) : أى الامر لك ٠ ونحو قوله تعالى « فادفعوا اليهم أموالهم » (٤) أى ادفعوا لهم فقد اقترضت « الى » من اللام معنى شبه الملك في الآية الاولى والاستحقاق في الآية الثانية (٥) ٠

(ب) أما « اللام » فتفيد غالبا المعانى التالية :

الاستحقاق نحو قوله تعالى «ويل للمطففين» (٦) والاختصاص نحو قوله تعالى « فان كان له اخوة » (٧) والملك نحو قوله تعالى « له ما في السموات وما في الارض » (٨) والتمليك نحو : وهبت لزيد

---

(١) الاسراء الآية الاولى ٠
(٢) البقـــرة الآية ١٨٧ ٠
(٣) النمـــل الآية ٣٣ ٠
(٤) النســـاء الآية ٥ ٠
(٥) راجع الاشمونى ٢ : ٢١٣ والهمع ٢ : ٢٠ ٠
(٦) المطففين الآية الاولى ٠
(٧) النســـاء الآية ٦ ٠
(٨) البقرة الآية ٢٥٥ ٠

دينارا وشبه الملك نحو قوله تعالى « جعل لكم من أنفسكم أزواجا » (١) والتأويل نحو قوله تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (٢) وقد تخرج اللام عن كل هذه المعانى فتأتى بمعنى « الى » ويتمثل ذلك في نحو قوله تعالى « يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها » (٣) أى أوحى اليها ونحو « كل يجرى لاجل مسمى » (٤) أى الى أجل مسمى ونحو « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » (٥) أى الى ما نهوا عنه ، فدلالة اللام في الآيات المتقدمة هى : انتهاء الغاية وذلك المعنى مقترض من « الى » .

قال الزجاجى في باب اللام التى بمعنى الى :

وذلك نحو قوله تعالى « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان » (٦) قال بعضهم معناه ينادى الى الايمان فأما قوله تعالى « الحمد لله الذى هدانا لهذا » (٧) فلا خلاف في أن تقديره : هدانا الى هذا ، فهذه لام الى .

وفي قوله تعالى « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » (٨) أى الى التى هى أقوم ، فأما قوله تعالى « وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت » (٩) فجائز أن تكون اللام لبيان المفعول من أجله فيكون

---

(١) النحل الآية ٧٢ .
(٢) النحل الآية ٤٤ .
(٣) الزلزلة الآية ٤ ، ٥ .
(٤) الرعد الآية ٢ .
(٥) الانعام الآية ٢٨ .
(٦) آل عمران الآية ١٩٣ .
(٧) الاعراف الآية ٤٣ .
(٨) الاسراء الآية ٩ .
(٩) الاعراف الآية ٥٧ .

المعنى : سقناه من أجل بلد ميت ، وجائز أن تكون بمعنى « الى » فيكون التقدير : سقناه الى بلد ميت (١) ٠

وهكذا اقترضت الى معنى اللام كما اقترضت « اللام » معنى « الى » ٠

الى - في :

(أ) « الى » التى تفيد بطريق الاصالة معنى «انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية » ، قد تخرج عن هذا فتأتى بمعنى « في » في الاسلوب على سبيل المقارضة ذكر ذلك جماعة من النحاة ، وعليه فقد ذهبوا الى أن «الى» بمعنى «في» في قول النابغة الذبيانى ٠

فلا تتركنى بالوعيد كأننى الى الناس مطلى به القار أجرب

أى كأننى في الناس مطلى به القار ٠

وفي قوله طرفة :

وان تلتق الحى الجميع تلاقنى الى ذروة البيت الكريم المصمد

أى في ذروة البيت الذى يصمد ويعضد ٠

ويقال : جلست الى القوم أى فيهم ، قال ابن مالك :

ويمكن أن يكون الى بمعنى «في» في قوله تعالى « ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه » (٢) وخالف في مجيء «الى» بمعنى «في» ابن عصفور حيث قال :

ولو صح مجيء الى بمعنى «في» لجاز : زيد الى الكوفة (٣) ٠

---

(١) اللامات للزجاجى : ١٥٧ وراجع رصف المبانى : ٢٢٢ ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٠ وشرح التصريح على التوضيح ٢ : ١٧ ومغنى اللبيب ١٠٤ - ٢٨٠ ٠

(٢) النســـاء الآية ٨٧ ٠

(٣) راجع المغنى ١٠٤ ، ١٠٥ والازهيـة : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ومعـانى الحروف للرمانى : ١١٥ ورصف المبانى ٨٣ ٠

(ب) « في » معلوم أن أوضح معانيها هو الظرفية المكانية أو الزمانية ، وقد اجتمعا في قوله تعالى « الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » (١) .

قال المالقى :

اعلم أن «في» حرف جار لما بعده ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازا ، فالحقيقة نحو : جعلت المتاع في الوعاء . ومنه قوله تعالى « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٢) والمجاز نحو : دخلت في الامر وتكلمت في شأن حاجتك ومنه قوله تعالى « ادخلوا في السلم كافة » (٣) ونحو « ولتنازعتم في الامر » (٤) غير أنها في بعض الاحيان قد ترادف «الى» فتقترض معنى انتهاء الغاية منها نحو قوله تعالى « فردوا أيديهم في أفواههم » (٥) أى الى أفواههم (٦) .

الباء ـ في :

(أ) « الباء » الاصل فيها أن تفيد معنى القسم بل هى أصل أحرفه ، ولذا خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو : أقسم بالله لتفعلن ودخولها على الضمير نحو : بك لافعلن غير أن الباء قد تقترض من «في» معنى الظرفية يدل على ذلك الشواهد الكثيرة منها قوله تعالى « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » (٧) أى وفي الليل ونحو « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » (٨) أى في بدر ونحو : « الم آل

---

(١) الروم الآية ١ ، ٢ .
(٢) البقرة الآية ٣٩٥ .
(٣) البقرة الآية ٢٠٨ .
(٤) الانفال الآية ٥ .
(٥) ابراهيم الآية ٦ .
(٦) المغنى ٢٢٣ ، ٢٢٥ والمطالع السعيدة في شرح الفريده للسيوطى ٢ : ٥٢ ط أولى بغداد وراجع رصف المبانى ٣٨٨ والاشمونى ٢ : ٢١٩ .
(٧) الصافات الآية ٣٧ ، ٣٨ .
(٨) آل عمران الآية ١٢٣ .

لوط نجيناهم بسحر » (١) أى في سحر ونحو : « وما كنت بجانب الغربى » (٢) أى في جانب الغربى ، ونحو : « وأوحينا الى موسي وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا » (٣) أى في مصر ، ونحو قول زهير :

بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقول ذى الرمة :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويا

أى فيها العين والآرام وأذو زوجة في المصر (٤) .

(ب) وقد تقترض «في» معنى «الباء» وذلك نحو قول زيد الخير بن مهلهل :

ويركب يوم الروع منا فوارس بصيرون في طعن الاباهر والكلى

أى بصيرون بطعن الاباهر ، وقال بعضهم ان «في» بمعنى الباء في قوله تعالى « جعل لكم من أنفسكم أزواجا يذرؤكم فيه» (٥) . وقد جعلها ابن هشام للتعليل موافقا الزمخشرى في ذلك (٦) .

البـاء ـ عن :

(أ) « الباء » تفيد القسم في أظهر معانيها كما تقدم ولكنها في بعض أحوالها قد تأتى في الاسلوب مفيدة معنى « المجاوزة » مقترضة هذا المعنى من « عن » نحو قوله تعالى « سأل سائل

---

(١) القمر الآية ٣٦ .
(٢) القصص الآية ٤٤ .
(٣) يونس الآية ٨٧ .
(٤) راجع معانى الحروف للرومانى ٣٦ . والمقرب ١ : ٢٠٤ وشرح التصريح ٢ : ١٤ .
(٥) الشورى الآية ١١ .
(٦) المغنى ١٤١ ـ ٢٢٤ .

بعذاب واقع » (١) أى عن عذاب واقع ونحو : «فاسأل به خبيرا» (٢) أى فاسأل عنه خبيرا ونحو «يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم» (٣) أى بين أيديهم وعن أيمانهم ، ونحو : « ويوم تشقق السماء بالغمام » (٤) أى يوم تشقق السماء عن الغمام غير أن الزمخشرى جعل « الباء » في هذه الآية بمنزلتها في : شققت السنام بالشفرة. على أن الغمام جعل كالآلة التى يشق بها قال : ونظيره قوله تعالى « السماء منفطر به » (٥) .

ومن مجيء الباء بمعنى « عن » نظما قول علقمة بن عبده :

فان تسألونى بالنساء فاننى ... بصير بأدواء النساء طبيب.

أى فان تسألونى عن النساء .

وقول عنتره :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... ان كنت جاهلة بما لم تعلمى

أراد : عما لم تعلمى .

وقول النابغة الجعدى :

سألتنى بأناس هلكوا ... شرب الدهر عليهم وأكل

أى سألتنى عن أناس .

وقول النابغة الذبيانى :

كأن رحلى وقد زال النهار بنا ... بذى الجليل على مستأنس وحد

أى وقد زال النهار عنا .

---

(١) المعارج الآية الاولى .
(٢) الفرقان الآية ٥٦
(٣) الحديد الآية ١٢
(٤) الفرقان الآية ٢٥
(٥) الزمر الآية ١٨

فالباء في كل ما تقدم تفيد « معنى المجاوزة » على سبيل الاقتراض من « عن » (١) .

أما « عن » فهي حرف يفيد معنى المجاوزة ولم يذكر البصريون سواه نحو : سافرت عن البلد ورغبت عن كذا ورميت السهم عن القوس (٢) ، وغير البصريين يذهبون الى أنها تفيد معانى أخر منها أنها قد تجيء بمعنى الباء أى تقترض معناه يدل على ذلك الامثلة الاتية :

قال تعالى « وما ينطق عن الهوى » (٣) أى وما ينطق بالهوى غير أن بعضهم ذهب الى أن الباء في هذه الاية على حقيقتها أى ما يصدر قوله عن الهوى (٤) .

وتقول العرب : رميت عن القوس أى رميت بالقوس ، وقال امرؤ القيس :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحشي وحرة مطفل

أى تصد وتبدى بأسيل فعن في البيت بمعنى الباء (٥) .

الباء ـ على :

(أ) وأيضا فالباء المتقدمة قد تأتى في بعض الاحيان مفيدة « معنى الاستعلاء » مقترضة هذا المعنى من « على » نحو قوله

---

(١) راجع مغنى اللبيب ١٤١ ـ ١٤٢ وابن عقيل ٢ : ٢٢ والازهية ٢٩٥ ورصف المبانى ١٤٤ والتسهيل ١٤٥

(٢) مغنى اللبيب ١٩٦

(٣) النجم الاية ٣

(٤) مغنى اللبيب ١٩٨

(٥) راجع معانى الحروف للرمانى : ٩٥ والازهية ٢٩٥ والخزانة ٤ : ٢٤٤ والهمع ٢ : ٢٩ ، ٣٠ ومعنى الاسيل في البيت : الخد الناعم .

تعالى « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك » (١) أى تأمنه على قنطار ، بدليل قوله تعالى « هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل » (٢) ونحو قوله تعالى « واذا مروا بهم يتغامزون » (٣) أى اذا مروا عليهم يتغامزون بدليل قوله تعالى « وانكم لتمرون عليهم مصبحين » (٤) .

ومن مجىء الباء بمعنى الاستعلاء أيضا قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

أى يبول الثعلبان على رأسه ، ويؤكد ذلك الشطر الثانى من البيت (٥) .

(ب) ومن اوهم أن « على » تفيد معنى الاستعلاء كما سيأتى الكلام على ذلك لكنها قد تأتى مفيدة معنى الباء نحو قوله «حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق » (٦) .

أى حقيق بأن لا أقول ، وقد قرأ أبى بن كعب المتوفى سنة ٢١ هـ الاية المتقدمة بالباء ، وقد سمع : اركب على اسم الله أى اركب باسم الله (٧) .

وقال امرؤ القيس :

بأى علاقتنا ترغبون عن دم عمرو على مرثد (٨)

---

(١) آل عمران الاية ٧٥
(٢) يوسف الاية ٦٤
(٣) المطففين الاية ٣٠
(٤) الصافات الاية ١٣٥
(٥) مغنى اللبيب ١٤٢
(٦) الاعراف الاية ١٠٥
(٧) مغنى اللبيب ١٩٢
(٨) الديوان ٣٩ والازهية ٢٨٧

أراد : ترغبون عن دم عمرو بدم مرتد وليس بدونه ٠

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

فـــكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع (١)

أى يفيض بالقداح أى يضرب بها ٠

فيلاحظ أن « على » قد تأتى بمعنى « الباء » كما يشهد لذلك الامثلة المتقدمة (٢) ٠

البـــاء ـ من

(أ) قد ترد « الباء » المتقدمة في الاساليب مفيـــدة معنى التبعيض مقترضة هذا المعنى من « من » قال بهـــذا الاصمعى والفارسي والقتبى وابن مالك والكوفيون (٣) وجعلوا من ذلك قوله تعالى : «عينا يشرب بها عباد الله » (٤) أى يشرب منها عبـاد الله ٠ ومن ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى (٥) :

شربن بماء البحـر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

أى شربن من ماء البحر ٠

وقول جميل (٦) :

---

(١) المفضليات ٢٠٢ ولسان العرب : ربب وديوان الهذليين ١ : ٦ ٠

(٢) راجع المطالع السعيدة ٢ : ٥٦ وشرح التصريح ٢ : ١٣ والاشمونى ٢ : ٢٢٢

(٣) مغنى اللبيب ١٤٢

(٤) الانسان الاية ٦

(٥) ديوان الهذليين

(٦) الديوان ٤٢ والنزيف : العطشان ، والحشرج : نقـرة في الجبل يجتمع فيها المـاء ٠

فلثمت فاها آخـــذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أى شرب النزيف من برد ماء الحشرج • فقد جاءت البـــاء بمعنى « من » فيما تقدم •

(ب) ومن المعلوم أن « من » تفيد ابتداء الغاية حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة اليه (١) لكن الارجح أن ابتـداء الغاية مطلقا هو أشهر معانيها قال السيوطى فى المطالع السعيد (٢)

« من » لابتداء الغاية مطلقا مكانا أو زمانا أو غيرهما نحـــو قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي » (٣) ونحو الحـــديث الشريف « فمطرنا من الجمعة الى الجمعة » (٤) •

وقوله تعـالى « انه من سـليمان وانه بسم الله الرحمـــن الرحيم » (٥) •

وقد تأتى « من » مفيدة معنى الاستعانة مقترضة هذا المعنى من « الباء » قال بهذا يونس بن حبيب ومثل اذلك بقـوله تعـالى « ينظرون من طرف خفى » (٦) أى ينظرون بطرف خفى ، وعلى هذا النحو أورد الهروى (٧) عدة آيات قرآنية ظهر فيها أن«من» بمعنى الباء نحو قوله تعالى « يحفظونه من أمر الله » (٨) أى بأمر الله ونحو « يلقى الروح من أمره » (٩) أى بأمره ونحـــــو

---

(١) معنى اللبيب ٤٢٩
(٢) المطالع السعيدة ٢ : ٧٠
(٣) الاسراء الاية الاولى
(٤) البخارى : باب الاستسقاء
(٥) النمل الاية ٣٠
(٦) الشورى الاية ٤٥
(٧) الازهية ٢٩٣
(٨) الرعد الاية ١١
(٩) غافـر الاية •

« تتنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » (١) أى بكل أمر سلام « فمن » في كل ما تقدم بمعنى الباء .

على ـ عن :

(أ) سبق القول أن معنى الاستعلاء في « على » هو أظهر معانيها ، سواء كان الاستعلاء حقيقيا نحو قوله « وعليها وعلى الفلك تحملون » (٢) أم مجازيا نحو قوله تعالى « ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون » (٣) ونحو « فضلنا بعضهم على بعض » (٤) ونحو : « وللرجال عليهن درجة » (٥) غير أنها في بعض الاحيان قد تقترض « معنى المجاوزة » من « عن » نحو قول القحيف بن سليم العقيلى :

اذا رضيت على بنو قشير لعمرو الله أعجبنى رضاها

أى اذا رضيت عنى بنو قشير ، ويحتمل أن يكون « رضي » ضمن معنى « عطف » من باب اعطاء الشيء حكم ما أشبهه في معناه ، ولهذا تعدت رضي بعلى في البيت المتقدم لما كان رضي عنه بمعنى أقبل عليه بوجه وده ، وقال الكسائى : انما جاز هذا حملا على نقيضه وهو سخط (٦) .

ومن مجيء « على » بمعنى « عن » قول عدى بن زيد :

في ليلة لا نرى بها أحدا يحكى علينا الا كواكبها

---

(١) القدر ٤ ، ٥
(٢) المؤمنون الاية ٢٢
(٣) الشعراء الاية ١٤
(٤) البقرة الاية ٢٥٣
(٥) البقرة الاية ٢٢٨
(٦) راجع مغنى اللبيب ١٩١ ـ ٨٨٧

أى يحكى عنا الا كواكبها ، وقال بعضهم أن « يحكى » ضمن معنى « يتم » ولذلك عداه بعلى فهو من باب اعطاء الشيء حكم ما أشبهه في المعنى ٠

(ب) « عن » تفيد « معنى المجاوزة » ولا تفيد سواه عند البصريين قد تخرج عن هذا المعنى فتفيد « معنى الاستعلاء » مقترضة اياه من « على » وذلك على رأى غير البصريين يشهد لذلك قوله تعالى « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » (١) أى يبخل على نفسه ٠

وقول ذى الاصبع العدوانى :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

وقد فسر البيت ابن هشام بقوله : أى لله در ابن عمك لا أفضلت في حسب على ولا أنت مالكى فتسوسنى ، وذلك لان المعروف أن يقال : أفضلت عليه (٢) ، ونحو قوله تعالى : « انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى » (٣) أى قدمت الخير على ذكر ربى ٠

عـلى ـ اللام :

(أ) واذا كان الاستعلاء في « على » هو أظهر معانيها فانها أحيانا قد تأتى مفيدة معنى التعليل مقترضة هذا المعنى من اللام نحو قوله تعالى « ولتكبروا الله على ما هداكم » (٤) ٠

أى لهدايته اياكم ، ومن ذلك قول عمرو بن معد يكرب :

---

(١) محمد الاية ٣٨

(٢) المغنى ١٩٦ وراجع الايضاح العضدى ٢٥٩ والهمع ٢ : ٢٩ وابن عقيل ٢ : ٢٣ وشرح التصريح ٢ : ١٥

(٣) ص الاية ٣٢ ٠

(٤) البقرة الاية ١٨٥

علام تقول الرمح يثقل عاتقى اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

أى لم تقول الرمح يثقل عاتقى ، « فعلى » في البيت بمعنى اللام (١) .

(ب) وقد تأتى « اللام » مفيدة معنى الاستعلاء الحقيقى والمجازى ، مقترضة هذا المعنى من « على » ، فالاستعلاء الحقيقى نحو قوله تعالى « ويخرون للاذقان سجدا » (٢) .

أى ويخرون على الاذقان،ونحو قوله تعالى« واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه » (٣) .

أى دعانا على جنبه ، وقوله تعالى « فلما أسلما وتله للجبين » (٤) أى وتله على الجبين ونحو قول الاشعث الكندى :

نناولت بالرمح الطويل ثيابه فخر صريعا لليدين والفم

أى فخر صريعا على اليدين والفم .

والاستعلاء المجازى نحو قوله « ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها » (٥) أى وان أسأتم فعليها ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها : «اشترطى لهم الولاء» (٦) أى اشترطى عليهم الولاء وقد أنكر النحاس أن يكون لهم في الحديث بمعنى عليهم ، وذهب الى أن المعنى من أجلهم ، فاللام قد جاءت على أصلها في رأيه (٧) .

---

(١) مغنى اللبيب ١٩١ والمقرب لابن عصور ١ : ٢٠١ والمطالع السعيدة ٢ : ٦٢

(٢) الاسراء الاية ١٠٩

(٣) يونس الاية ١٢

(٤) الصافات الاية ١٠٣

(٥) الاسراء الاية ١٧

(٦) صحيح البخارى : كتاب العتق

(٧) مغنى اللبيب ٢٨٠ ورصف المبانى ٢٢١ والاشمونى ٢:٢١٧

عـلى ـ في :

(أ) وقد تأتى « على » مفيدة « معنى الظرفية » مقترضة هذا المعنى من « في » نحو قوله تعالى : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » (١) أى في حين غفلة من أهلها وقوله تعالى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » (٢) أى ما تتلوا الشياطين في زمن ملكه ، ويحتمل أن تكون « على » في الاية على حقيقتها اذا ضمن « تتلو » معنى تقول ، فيكون بمنزلة « ولو تقول علينا بعض الاقاويل » (٣) ومن مجيء على بمعنى « في » أى مفيدة معنى الظرفية قول الاعشي :

فصل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

ويقال : أتيته على عهد فلان أى أتيته في عهد فلان (٤) .

(ب) وقد تأتى « في » مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من على قال بذلك الكوفيون وجعلوا من ذلك قوله تعالى : « ولاصلبنكم في جذوع النخل » (٥) أى على جذوع النخل غير أن البصريين قالوا ان « في » في الاية الكريمة على بابها أى مفيدة معنى الظرفية والمعنى :

ان النخلة مشتملة على المصلوب ، لانه انما يصلب في عراضها لا عليها ، فكأنها صارت وعاء أو اشتملت عليه (٦) .

---

(١) القصص الاية ١٥
(٢) البقرة الاية ٢ : ١٠٠
(٣) الحاقة الاية ٤٤
(٤) الازهية ٢٨٥ وشرح التصريح ٢ : ١٤ وابن يعيش ٩ : ٣٩
(٥) طه الاية ٧١
(٦) معانى الحروف للرمانى ٩٦

ومن مجيء « في » بمعنى « على » قول سويد بن كاهل أو غيره :

هم صلبوا العبدى في جذع نخلة فلا عطست شيبان الا بأجدعا

أى هم صلبوا العبدى على جذع نخلة .

وقول عنتره بن شداد :

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعالَ السبت ليس بتوءم

والسرحة : الشجرة العظيمة أى ثيابه على شجرة ونحو قوله تعالى :

« أم لهم سلم يستمعون فيه » (١) أى يستمعون عليه (٢)

على - من :

(أ) وقد تأتى « على » مفيدة معنى ابتداء الغاية مقترضة هذا من « من » نحو قوله تعالى « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون » (٣) أى اذا اكتالوا من الناس وقوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم » (٤) أى الا من أزواجهم بدليل : « احفظ عورتك الا من زوجتك وما ملكت يمينك »

وقوله تعالى « من الذين استحق عليهم الاوليان » (٥) أى استحق منهم الاوليان وقول أبى المثلم الهذلى يصف كتيبة (٦) :

---

(١) الطور الاية ٣٨
(٢) منار السالك ١ : ٣٩٣ والمغنى ٢٢٤
(٣) المطففين الايتان ١ ، ٢
(٤) المؤمنون الايتان ٥ ، ٦
(٥) المائدة الاية ١٠٧
(٦) البيت في ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ والمخصص ٦ : ٩٥

متى ما تفكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث

أى من أقطارها ، والعلق : الدم الجامد ونفيث : منفوخ .

(ب) وقد تأتى « من » بمعنى « على » أى مفيـــدة معنى الاستعلاء نحو قوله تعالى : « ونصرناه من القـــوم الذين كذبوا بآياتنا » (١) أى ونصرناه على القوم الذين كذبوا ، وقيل : ضمن « نصرناه » معنى منعناه أى منعناهم بالنصر .

وهكذا جاءت « على » في الاسالب بمعنى « من » أى مفيدة معنى ابتداء الغاية ، وجاءت « من » بمعنى « على » أى مفيـدة معنى الاستعلاء وكل ذلك على سبيل التقـــارض بينهمـــا في المعـــانى (٢) .

عـــن ـ اللام :

(أ) وقد تترك « عن » معنى المجاوزة الى افادة « التعليل » على سبيل الاقتراض من اللام نحو قوله تعالى « وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه » (٣) أى الا لموعدة وعدها اياه ، وقوله تعالى « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » (٤) ما نحن بتاركى آلهتنا لقولك ، وقد ذهب الزمخشرى الى غير هـــذا فجوز أن يكون « عن قولك » حالا من ضمير تاركى أى ما نتركهـــا صادرين عن قولك ، فليست عن بمنزلة اللام على رأيه (٥) .

---

(١) الانبيـــاء الاية ٧٧

(٢) الازهية ٢٩٣ والمغنى ١٩١ ، ٤٢٤ والاشمونى ٢ : ٢١٣ ، والهمع ٢ : ٢٨ ، ٣٤ .

(٣) التـــوبة الاية ١١٤

(٤) هود الاية ٥٣

(٥) مغنى اللبيب ١٩٧

(ب) وقد تأتى اللام بمعنى « عن » أى مفيدة معنى المجاوزة نحو قوله تعالى « وقال الذين كفروا للذين آمنـوا لو كان خـيرا ما سبقونا اليه » (١) أى قال الذين كفروا عن الذين آمنوا قال بهذا ابن الحاجب ، وذهب ابن مالك وغـيره الى أن اللام في الآية لام التعليل ، وقيل هى لام التبليغ والتفت عن الخطاب الى الغيبة ، أو يكون اسم المقول لهم محذوفا أى قالوا لطائفة من المؤمنين لما سمعوا اسلام طائفة أخرى ، وحيث دخلت اللام على غير المقول له فالتأويل على بعض ما ذكر (٢) .

عـن ـ مـن :

(أ) وقد تأتى « عن » بمعنى « من » أى مفيدة معنى ابتداء الغاية نحو قوله تعالى « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » (٣) يقبل التوبة من عباده ، وقوله تعالى « أولئك الذين نتقبلُ عنهم أحسن ما عملوا » (٤) أى يتقبل منهم أحسن ما عملوا بدليلُ قوله تعالى « فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر » (٥) وبدليلُ قوله تعالى« ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » (٦) .

(ب) وقد تأتى « من » مرادفة « لعن » فتفيد معنى المجاوزة على رأى بعضهم نحو قوله تعالى « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله » (٧) أى عن ذكر الله ، وقوله تعالى « يا ويلنا قد كنا في غفلة

---

(١) الاحقـاف الاية ١١
(٢) مغنى اللبيب ٢٨٢ والاشمونى ٢ : ٢٢٤
(٣) الشورى الاية ٢٥
(٤) الاحقاف الاية ١٦
(٥) المـائدة الاية ٢٧
(٦) البقرة الاية ١٢٧
(٧) الزمر الاية ٢٢

من هذا » (١) أى في غفلة عن هذا ، وذكر الهروى : أنه قيل : حدثنى فلان من فلان .. أى حدثنى فلان عن فلان قال ابن هشام :

وزعم ابن مالك أن « من » نحو : زيد أفضل من عمرو للمجاوزة ، وكأنه قيل : جاوز زيد عمرا في الفضل قال : وهو أولى من قول سيبويه وغيره أنها لابتداء الارتفاع في نحو : أفضل منه ، وابتداء الانحطاط في نحو : شر منه اذ لا يقع بعدها الى ، وقد رد على ابن مالك أنها لو كانت للمجاوزة في المثال المتقدم لصح في موضعها عن (٦) .

في ـ اللام :

(أ) « في » تفيد معنى الظرفية قال أبو على الفارسي : « وفي معناها الوعاء وذلك نحو : المال في الكيس واللص في الحبس ويتسع فيها فيقال : زيد ينظر في العلم وأنا في حاجتك » ، وقد تخرج عن هذا المعنى الى مرادفة اللام فتفيد معنى التعليل أو السببية نحو قوله تعالى « فذلكن الذى لمتننى فيه » (١) أى لمتننى لاجله وقوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما أفضتم فيه » (٢) أى لاجل افاضتكم فيه ، ومن ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« دخلت امرأة النار في هرة حبستها » (٣) أى لاجل هرة فالهرة هى العلة والسبب في دخول المرأة النار .

---

(١) الانبياء الاية ٩٧
(٢) الازهية ٢٨٩
(٣) مغنى اللبيب ٨٢٣ والمطالع السعيدة ٢ : ٧٢
(٤) يوسف الاية ٣٢
(٥) النور الاية ١٤
(٦) الحديث في مسند أحمد والبخارى ومسلم .

(ب) واللام التى تفيد معنى التعليل قد تخرج عنه الى افادة معنى الظرفية على سبيل الافتراض من « في » نحو قوله تعالى : « ونضع للموازين القسط ليوم القيامة » (١) أى ونضع الموازين في يوم القيامة وقوله تعالى « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو » (٢) أى لا يجليها في وقتها الا هو ، قيل : ومنه قوله تعالى « يا ليتنى قدمت لحياتى » (٣) أى في حياتى وقولهم : مضي لسبيله أى مضي في سبيله (٤) ٠-

في - من :

(أ) وقد تأتى « في » بمعنى « من » أى تأتى مقترضة معنى ابتداء الغاية أو التبعيض من « من » نحو قول امرىء القيس (٥)

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
وهل يعمن من كان في العصر الخالى
وهل يعمن من كان أحدث عهده
ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال

أى من كان من العصر الخالى وثلاثين شهرا من ثلاثة أحوال ٠

(ب) وقد تأتى « من » بمعنى « في » أى تفيد معنى الظرفية على رأى بعضهم نحو قوله تعالى « أرونى ماذا خلقوا من الارض » (٦) أى ماذا خلقوا في الارض ، وقوله تعالى « يأيها الذين

---

(١) الانبياء الاية ١١
(٢) الاعراف الاية ١٨٧
(٣) الفجر الاية ٢٤
(٤) الايضاح العضدى ٢٥١ والمغنى ٢٢٤ ، ٢٨١ ٠
(٥) الديوان ١٣٨
(٦) فاطر الاية ٤٠

آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » (١) أى نودى للصلاة في يوم الجمعة .

وقد ذهب ابن هشام الى أن من « في الاية الكريمة لبيان الجنس وليست بمعنى في » (٢) .

اللام – من :

(أ) وقد تخرج اللام عن معنى التعليل فتأتى بمعنى « من » أى تفيد معنى ابتداء الغاية نحو قولهم : « سمعت له صراخا » أى سمعت منه صراخا ونحو قول جرير (٣) :

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضل

أى ونحن أفضل منكم يوم القيامة (٤) .

(ب) وقد تخرج « من » عن افادة ابتداء الغاية فتأتى بمعنى اللام أى تفيد معنى التعليل نحو قوله تعالى « مما خطيئاتهم أغرقوا » (٥) أى لاجل خطيئاتهم أغرقوا .

ونحو قول امرىء القيس (٦) :

وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الاسود

أى وذلك لاجل نبأ جاءنى .

ونحو قول الفرزدق (٧) :

---

(١) الجمعة الاية ٩

(٢) مغنى اللبيب ٢٢٥، ٤٢٤ وراجع المطالع السعيدة ٢ : ٦٤ وأوضح المسالك ١ : ٣٨٩ ورصف المبانى ٣٩١

(٣) الديوان ٤٥٧

(٤) مغنى اللبيب ٢٨١ والاشمونى ٢ : ٢١٨

(٥) نوح الاية ٢٥

(٦) الديوان ٧٦

(٧) الديوان ٨٤٨

يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

أى ويغضي لاجل مهابته (١) .

أو ـ الواو :

(أ) « أو » حرف عطف يفيد معنى الشك أو الابهام أو التخيير أو الاباحة ، وفي بعض الاحيان قد يأتى هذا الحرف مفيدا معنى الواو أى يفيد معنى الجمع المطلق قال بذلك الكوفيون والاخفش والجرمى واحتجوا بقول توبه بن الخمير :

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

أى لنفسي تقاها وعليها فجورها فأو بمعنى الواو قال المالقى: وهو قليل لا يقاس عليه (٢)

وقيل « أو » في البيت للابهام أى جاءت على بابها .

واحتجوا أيضا بقول جرير في مدح عمر بن عبد العزيز (٣)

جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسي ربه على قدر

فأو في الشطر الاول لمطلق الجمع كالواو .

ويقول النابغة الذبيانى (٤) :

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد

فأو في البيت لمطلق الجمع كالواو .

ويقول حميد بن ثور (٥) :

---

(١) مغنى اللبيب ٤٢١ ومنار السالك ١ : ٣٨٩
(٢) رصف المبانى ١٣١
(٣) الديوان ٢٧٥
(٤) الديوان ٤٥
(٥) الديوان ١١١

قوم اذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سـافع

فأو في الشطر الثانى لمطلق الجمع كالواو والسافع : هو الآخذ بناصية الفرس من غير لجام ٠

وقال الرمانى (١) : ذهب قوم من الكوفيين الى أن « أو » بمعنى الواو وجعلوا من ذلك قوله تعالى«لعله يتذكر أو يخشى» (٢) ومثله « عذرا أو نذرا » (٣) ٠

وفي قوله تعالى « أانا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » (٤) ٠ ٠ ذهب المالقى الى أن « أو » في الاية بمعنى الواو على قراءة من تسكن الواو (٩)، وفي قوله تعالى « وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون»(١٠)

« أو » بمعنى الواو أى مائة ألف ويزيدون ، وفي قوله تعالى « ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم » (٧) ذكر ابن مالك أن « أو » في الاية بمعنى « ولا » قال ابن هشام : ان « أو » في الاية بمعنى الواو وانما جاءت « لا » في الاية توكيدا للنفى السابق ومانعة من توهم تعليق النفى بالمجموع لا بكل واحد ، وذلك مستفاد من دليل خارج عن اللفظ وهو الاجماع (٨) ٠

(ب) وقد تخرج الواو عن افادة « مطلق الجمع » فتأتى بمعنى

---

(١) معانى الحروف ٧٧ ، ٧٨
(٢) المرسلات الاية ٦
(٣) طه الاية ٤٤
(٤) الواقعة الايتان ٤٧ ، ٤٨
(٥) رصف المبانى ٤٢٦
(٦) الصافات الاية ١٤٧
(٧) النور الاية ٦١
(٨) مغنى اللبيب ٩٠ وراجع الانصاف في مسائل الخلاف المسألة ٦٧ ط رابعة مصر

« أو » أي تفيد الاباحة أو التخيير • وقالوا ان مجيء الواو بمعنى أو على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن تكون بمعنى « أو » في التقسيم نحو قولك : الكلمة اسم وفعل وحرف أي الكلمة اسم أو فعل أو حرف ، ونحو قول عمرو ابن براقة :

وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم

فالواو في الشطر الثاني بمعنى « أو » وذهب ابن هشـــام الى أن الواو جاءت على أصلها لمطلق الجمع •

الثاني : أن تكون الواو بمعنى « أو » في افادة الاباحة وعـلى ذلك الزمخشري ، زعم أنه يقال : جالس الحسن وابن سيرين أي جالس أحدهما ، وانه لهذا قيل : « تلك عشرة كاملة » (٢) بعد ذكر ثلاثة وسبعة لئلا يتوهم ارادة الاباحة وقد رد ابن هشام ما ذهب اليه الزمخشري (٢) •

الثالث : أن تكون الواو بمعنى « أو » في افادة التخيـــير ، واستدلوا بقول كثير عزة (٣) :

وقالوا نأت فاختر لها الصبر والبكا
فقلت : البـــكا أشـــفى اذن لغليلى

أي فاختر لها الصبر أو البكاء أي أحدهما ، اذ لا يجتمع البكاء مع الصـــبر •

مـع ـ بعـد

(أ) « مع » اسم يدلّ على الظرفية ويستعملّ مضافا ومفردا فيستعملّ مفردا نحو قولّ جندلّ بن عمرو :

---

(١) البقرة الاية ١٩٢
(٣) مغني اللبيب ٤٦٨
(٣) الديوان ٢ : ٢٥١

فيقوا بنى حرب وأهواؤنا معا وأرماحنا موصولة لم تقضب

وحين يستعمل مضافا فانه يفيد ثلاثة معان :

أحدها : موضع الاجتماع ولهذا يخبر به عن الذوات نحو : الكتاب معك .

والثانى : زمان الاجتماع نحو : جئتك مع الظهر .

والثالث : بمعنى « عند » كقراءة بعضهم « هذا ذكر من معى » (١) وكما تأتى في الاسلوب موافقة لعند فقد ذكر الهروى أنها قد تأتى بمعنى « بعد » واستدل بقول الله عز وجل « فان مع العسر يسرا » (٢) معناه : فان بعد العسر يسرا .

ولما ذكر العسر بالالف واللام ثم أعاد ذكره ، وجب أن العسر الثانى هو الاول وصار المعنى : ان مع العسر يسرين ، ومنه الحديث « لا يغلب عسر واحد يسرين » (٣) .

(ب) « بعد » هو أحد الظروف الذى لا يلازم البناء ، فهو يبنى في بعض الاحوال ويعرب في بعضها الاخر كقبل ودون وأول والجهات الست ، ويأتى هذا الظرف أى « بعد » في مقابل « قبل » نحو قوله تعالى « لله الامر من قبل ومن بعد » (٤) وقد يخرج عن « معنى » مقابلة قبل فيأتى بمعنى « مع » نحو قول الله سبحانه وتعالى « عتل بعد ذلك زنيم » (٥) أى عتل مع ذلك زنيم .

---

(١) الانبياء الاية ٢٤
(٢) الإنشراح الاية ٥
(٣) الحديث أخرجه الحاكم بسند ضعيف مرسلا .
(٤) الروم الاية ٤
(٥) القلم الاية ١٣

وهكذا يلاحظ أن مع وبعد تقارضا المعانى فيما بينهما (١)

* * *

و « بعد » فلعلى أكون قد ألممت بما يجب أن يقال في « ظاهرة التقارض في النحو العربى » ، وربما فاتنى منها القليل أو الكثير أرجو الله أن يهدينى اليها في قابل الزمان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصبه وسلم ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعت على هذا البحث القيم وينبغى للدارسين قراءته للاستفادة منه ـ وقد اشتمل على دراسة كثير من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية وهو جدير بالنشر ليعم نفعه الطلاب والمدرسين ٠٠ والله ولى التوفيق ٠

عبد العظيم على الشناوى
رئيس قسم اللغويات وشعبه اللغويات
بالدراسات العليا بالجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة

(١) راجع الازهية ٢٩٢ والمغنى ٤٣٩ وجامع الدروس العربية ٢ : ٢١٤ ٠